

جان بول سارتر و الثورة

" الثورة الجزائرية نموذجا "

د.سواريت بن عمر*

مقدمة :

تعتبر الثورة (la révolution)، من الأفعال و السلوكات التغييرية التي تصدر عن الإنسان، والتي تحاول زعزعة ما كان طبيعيا لحد الآن في حياته والذي اعتاد عليه وإن كان هذا الاعتقاد بأثولوجيا وغير متجانس . إنها تغيير جذري ومفاجئ لما كان سائدا إلا أن طبيعتها و حركيتها عادة ما تكون عنيفة . من هنا و لضرورة معرفية و منهجية وحب أن نتساءل ما هي الثورة ؟ وما هي علاقتها بالفلسفة ؟ ويف فهمها سارتر و كيف فهم طبيعتها و قوانينها و أهدافها ؟

1- مفهوم الثورة :

تعريف لغوي:

كلمة ثورة بالفرنسية révolution مشتقة من اللاتينية révolution و معناها العودة le retour¹.

تعريفات عامة:

أ- تعرف الثورة من الناحية الكسمولوجية على أنها عودة دورية لفلك ما إلى نفس نقطته المركزية.
ب- وتعرف من الناحية الهندسية و الميكانيكية على أنها دوران كامل لجسم متحرك حول محوره.
ج- وتعرف الثورة سياسيا على أنها تحول و تغيير عميق و مفاجئ و عنيف في شكله العام موجه نحو تعويض لنظام سياسي و اجتماعي جديد بنظام أصبح لا يتماشى مع التغييرات الجديدة.⁽²⁾

تعريفات فلسفية:

د- يعرف ريمون ارون Raymond Aron الثورة بقوله " إننا نفهم من كلمة ثورة في لغة علم الاجتماع ، تعويض نظام بنظام آخر عن طريق العنف".⁽³⁾
هـ- أما كامو ألبرت Camus Albert فيعرفها بقوله " إن الثورة هي إدماج الفكرة داخل التجربة التاريخية و ذلك عندما يكون التمرد هو تلك الحركة التي تقود التجربة الفردية إلى الفكرة [...] إن الثورة هي محاولة تشكيل الفعل على نموذج فكري أو مثالي"⁽⁴⁾

2- مفهوم الثورة عند جون بول سارتر:

* - قسم الفلسفة ، جامعة وهران، الجزائر.

(1) Jacqueline Russ , Dictionnaire de philosophie , bordas 2004, p 369

(2) Ibid , p 369

(3) Raymond Aron, l'opium des intellectuels, Calmann Levy, 1987,p47

(4) Albert Camus, l'homme révolté, Gallimard, 1982, p136.

لقد سبقت مجلة الأزمنة الحديثة les Temps Modernes اهتمامها و التزامها بحرب الجزائر قبل مؤسسها و مديرها جان بول سارتر (Jean Paul Sartre)، ففي شهر ماي 1955 نشرت عددا حول مسألة الصراع و في شهر نوفمبر مقالا بعنوان " الجزائر ليست فرنسا" لقد بدأ صوت هذه المجلة يزداد و يقوى . مجلة الأزمنة الحديثة ستوقف إذن طيلة الحرب: أربع (04) مرات في الجزائر ومرة واحدة في فرنسا. في شهر مارس 1956 ظهر أول مقال لسارتر حول الجزائر بعنوان "الاستعمار نسق"، ذلك من خلال محاضرة أعطاها في 27 جانفي 1956 بملتقى بباريس من اجل السلم في الجزائر من تنظيم لجنة المثقفين النشطاء ضد الحرب واستمرارها في الجزائر. فكان المقال بمثابة تبيان للطرق السياسية و الاقتصادية الاستعمارية و يدعو إلى محاربة هذا "النسق"، إن وعي سارتر ضد الاستعمار لم يكن وليد هذا التاريخ بل كان قبل ذلك بسنوات عديدة إذ ناصر هذا المثقف الكبير في تونس قضية الدستور الجديد⁵ و في المغرب ناصر قضية الاستقلال في المؤتمر الذي شارك فيه 1948 و1952، والذي من خلاله عقد حوارا مع جريدة فرحات عباس المسماة بالجمهورية الجزائرية (la Algérienne République) في خريف 1955 سيعطي دعمه الكلي للجنة المثقفين النشطاء ضد مواصلة الحرب في الجزائر . ساعد في هذه المرحلة المفكر فرنسيس جانسون (Francis Jeanson) والمتعاون في مجلة الأزمنة الحديثة مع زوجته كوليت (colette) الفيلسوف جان بول سارتر مساعدة كبيرة من خلال المقال الذي نشره هو و زوجته بعنوان الجزائر خارج القانون في ديسمبر عام 1955.

وتعتبر سنة 1956 اللحظة الحقيقية في الالتزام السارترية إذ انفصل عن الشيوعيين (les communistes) و لخص " علي حرب " المفكر اللبناني عام 1990 ذلك بقوله "انطلاقا من هذه اللحظة سيحدث له انزلاق تاريخي ينقله بطبقات متدرجة، لاكتشاف موضوع جديد للتاريخ، أكثر راديكالية (تجدرا) من البروليتاريا إنها : المستعمرات .

القضية الجزائرية استفادت إذن من ذلك.⁽¹⁾

بين مارس 1956 و افريل 1962 ظهرت نصوص سارتر لتعبر عن جرأة غير معهودة في عصره : فأصبحت حياته في خطر شديد إذ أصبح مسكنه في حي بونايرت Bonaparte مراقبا من طرف المنظمة العسكرية السرية (OAS) وفي 1957 نشر الكاتب التونسي البرت ميمي (Albert Memmi) كتابا بعنوان "سيرة المستعمر" والذي استبقه بكتاب آخر "أسير المستعمر" ستظهر منها بعض الملخصات في مجلة الأزمنة الحديثة في جويلية و شهر أوت.⁽²⁾ وكتب سارتر حول مسألة العنف التي كتب عنها في شهر مارس من عام 1956 في مقال بعنوان " الاستعمار نسق" قائلا: " لقد كان الغزو بالعنف الاستغلال و الضغط تطلب العنف من خلال الحضور الوحشي للجيش، لقد رفض المستعمر حقوق الإنسان من خلال التعذيب، الفقر، الحرمان

⁽¹⁾حزب الاستقلال التونسي كان مقسما إلى فرع إسلامي و هو الدستور القديم و دستور حديث.

⁽²⁾Mohammed Harbi, «une conscience libre », les temps modernes, Paris, octobre décembre, 1990 ,P1034.

والأمية إنها حالة "ما دون إنسانية" كما قال ماركس Marx و قد وجدت هذه الحالة في المؤسسات ، في الطبيعة ، ومن خلال التبادل والإنتاج الاقتصادي ، إن العنصرية أصبحت السمة البارزة لهذه المرحلة،⁽¹⁾ لقد وصف سارتر هذه الفترة الاستعمارية بأبشع الأوصاف فمصطلح "تحت إنساني" الذي استعاره من ماركس نجده يتداول في جل مقالاته و يواصل سارتر وصف العنف الذي اتخذ أشكالا جهنمية في حياة و يوميات الإنسان الجزائري إذ كتب أثناء معاهدات إيفيان (Evian) في افريل 1962 في مقال له بعنوان "النائمون" لا احد يجهل اليوم أننا حططنا وأجعنا، وحاولنا إسقاط شعب فقير لكنه بقي صامدا و بأي ثمن".⁽²⁾ وفكرة تحت إنساني " التي نجدها تتكرر في كتابات سارتر مرجعها أن الاستعمار كنسق حاول اعتبار الإنسان الجزائري وحشا يجب أن يستعمل معه كل الطرق الوحشية في التعذيب"⁽³⁾ فسقطت شعارات وادعاءات فرنسا المزيفة لحقوق الإنسان في نظر سارتر . واصل سارتر مقاومته ضد الاستعمار الفرنسي من خلال قلمه وما كان يكتبه إذ نجده قد وضع مدخل لكتاب فرانتز فانون Frantz Fanon "المعذبون في الأرض" كتب فيه يقول "لقد أعطى الأمر للقضاء على السكان الذين اعتبروا بمثابة قرد راق يجب معاملته كوحش في سلسلة الوحوش . لقد حاول الاستعمار نزع كل صفة إنسانية عنهم من خلال القضاء على تقاليدهم و لغاتهم و تحطيم ثقافتهم دون أن يعطيهم ثقافته " (4) 11 فمصطلح وحش (Bête) استعمله سارتر كذلك في موضوع التعذيب إذ كتب يقول "لقد كان الاستعمار سريعا في إدلال ضحاياه، في حلق تكبير قلوبهم و في ضمهم إلى سلالة الوحوش"،⁽⁵⁾ لقد كان أول مقال يفضح فيه سارتر وسائل وطرق تعذيب الاستعمار عام 1975 بعنوان "أنكم رائعون" والذي ظهر في الأزمنا الحديثة و اعتبرته جريدة لوموند le monde الشهيرة آنذاك انه مقال جد عنيف و قوي يكشف معا هذا السرطان هذا النسق البشع من العنف المطلق الذي شرد، اغتصب، انتقم وعذب من اجل الحصول على اعترافات ومعلومات تفيده"⁽⁶⁾ لقد قلب سارتر كل شيء و حاول بكل ما يملك من قوة فكرية وإبداعية أن يغير نظرة الإنسان الفرنسي و العالمي اتجاه ما يحدث في الجزائر من تراجيديات .

(1) Tous publiés dans situation 07, Gallimard Paris, 1964 Voir Michel Contat et Michel Rybalka, les écrits de Sartre, Gallimard, Paris, 1970.

(2) Albert Memmi publiera portrait du décolonisé Arabe — Musulman et de quelques autres, Gallimard Paris, 2004.

(3) Les temps modernes, juillet — Août 1957 et situations 07 ,P 51 -52 .

(4) « les somnambules », les temps modernes Avril 1962, dans situations P 161.

(5) une victoire », l'express, 06 Mars 1958 ; dans situations 07 P 86.

(6) dans frantz Fanon, les damnés de la terre, Maspero, coll. « cahiers libres » Paris, 1961, P 09-

